# عتبات النص والمتخيل الثقافي

## قراءة في رواية " يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم

**دكتور/ هاني إسماعيل محمد إسماعيل أبو رطيبة**

**أستاذ الأدب والنقد الحديث المساعد**

**قسم اللغة العربية - كلية الآداب**

**جامعة بني سويف**

**المستخلص:**

**تتناول هذه الدراسة العتبات النصية لرواية " يا صاحبي السجن " للأديب الأردني أيمن العتوم، بوصف تلك العتبات / النص الموازي علامات سيميائية يستطيع القارئ / المتلقي الولوج من خلالها إلى أعماق النص الأدبي والغوص في عوالمه المسكوت عنها، كما أن هذه العتبات تساعده على فك شفرات النص، وإنتاج نصًا منفتحًا على كافة الدلالات، ينير ضروب التأويل التي تتفاعل داخل نفس المتلقي وتراكماته الفكرية، بداية من عتبة الغلاف بألوانه المتعددة، ورسومه العميقة الفكر، وعتبة العنوان ، وانتهاء بالعتبات الداخلية " عناوين الفصول " كما كشفت الدراسة عن أهمية العتبات النصية للرواية، ودورها في فك شفرات النص، والنطق بالمسكوت عنه داخل النص الأصلي.**

**الكلمات المفتاحيَّة**

**عتبات – النص – العنوان – الغلاف – يا صاحبي – السجن**

## Abstract

**This study deals with the parallel text of the novel "O Prisoners of the Prison" by the Jordanian writer Ayman Al-Atoum, describing these thresholds / parallel text as semiotic signs, The parallel text is characterized by semiotic signs through which the reader / receiver can penetrate the depths of the literary text and dive into his silent worlds. This parallel text also helps to decipher the text and produce a text that is open to all indications, illuminating the interpretations that interact within the same recipient and his intellectual accumulations**

**Key words**

**Parallel text – title – cover – my friends – prison**

## المقدمة

تعد العتبات النصية مفاتيح للنص، تساعد المتلقي على فك شفراته، والكشف عن مخبواءته، بما تحويه هذه العتبات من عناوين رئيسية أو فرعية، وداخلية، وتصدير وإهداء وابستمولوجيا الغلاف وغيرها، فهي مداخل أو بوابات يمكن الولوج للنص عبرها، حيث عوالمه المسكوت عنها، التي تلعب دورًا كبيرًا في التأثير على المتلقي، وتحريك مكوناته الثقافية والفكرية وخبراته الحياتية في التفاعل مع النص، وإنتاج نص جديدًا يتلاقى مع النص الأصلي ولا يتعارض نعه، بل يساعد في – كما ذكرت – في فك شفراته، وفتح مغاليقه الفكرية.

وهذا ما قصده جيرار جينت في قراءة النص ضمن علاقاته بالنص الموازي، وكتب عنه كتابًا سنة ١٩٨٧ م أسماه (Seuils) وترجم بالعتبات، وأسماه سعيد يقطين بالنص الموازي([1])

لذلك اهتمت الدراسة بالعتبات النصية لرواية " يا صاحبي السجن : لما لها من خصوصية في فهم النص الروائي فأي نص لا يمكن المرور بين فضاءاته، دون التنقل عبر عتباته النصية، التي تمنحه رؤية خاصة، ومفتاحًا لفهمه، فعتبات نص رواية يا صاحبي السجن تعد بمثابة مجموعة من العلامات المفضية إلى متن النص، تسبقه لتكشف عنه، وتكون دلالة مكتملة به. وتوقفت الدراسة أمام مجموعة العتبات التي اهتم بها أيمن العتوم، وأولاها عناية خاصة، لتكون فضاء معبرًا عن المسكوت عنه، أو ما يريده يتعمق داخل المتلقي عبر القراءة والتأويل الخاص، ليكمل ما نطق به النص الأصلي. وهذه العتبات تتمثل في غلاف الرواية بألوانه ورسومه المتنوعة، وعنوان الرواية الرئيس، والعناوية الداخلية أو الفرعية " عناوية

الفصول، ثم عتبة الغلاف الخلفي الذي ارتبط مع كل تلك العلامات والعتبات لينتج دلالتهم الخاصة.

وسعت الدراسة للربط بين تلك العتبات المختلفة للروية وبين المتخيل الثقافي الذي يسعى الخطاب الروائي لإعادة إنتاجه داخل المتلقي، كي يعبر عنه عن رؤيته وأيديولوجيته الروائية، المبثوثة داخل النص الموازي / العتبات ومرموز لها داخل النص النص الأصلي.

فلعب المتخيل الثقافي دورًا مهما في تشكيل الرؤية السردية، داخل النص الأصلي وارتبط مع العتبات في علاقات تضافر واضحة، استطاعت أن تكمل النص، وتنتج نصًا آخر له، يعد نصًا مكملًا أو كاشفا للعلامات التي وظفها الروائي في نصه الموازي.

لقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، لاستنطاق العتبات والربط بينها وبين المتخيل الثقافي داخل النصي الأصلي، لتستطيع الكشف عن أغوار الخطاب وعلاماته الخاصة، المقصودة لترسيخ لرؤية النص وأيديولوجيته، عبر إحياء المتخيل الثقافي الديني للمتلقي، وتوجيهه للتماهي الفكري والأيديولوجي معه. لذلك قُسِّمت الدراسة لثلاثة محاور:

المحور الأول: عتبة الغلاف ودلالته.

المحور الثاني: عتبة العنوان والغلاف الخلفي.

المحور الثالث: العتبات الداخلية " الفرعية"

وجاءت الخاتمة لتؤكد دور العتبات النصية / أو النص الموازي في الكشف عن المسكوت عنه في النص الأصلي، وتوظيف الروائي لها، لتعبر عن أيديولوجيته الفكرية.

## عتبة الغلاف:

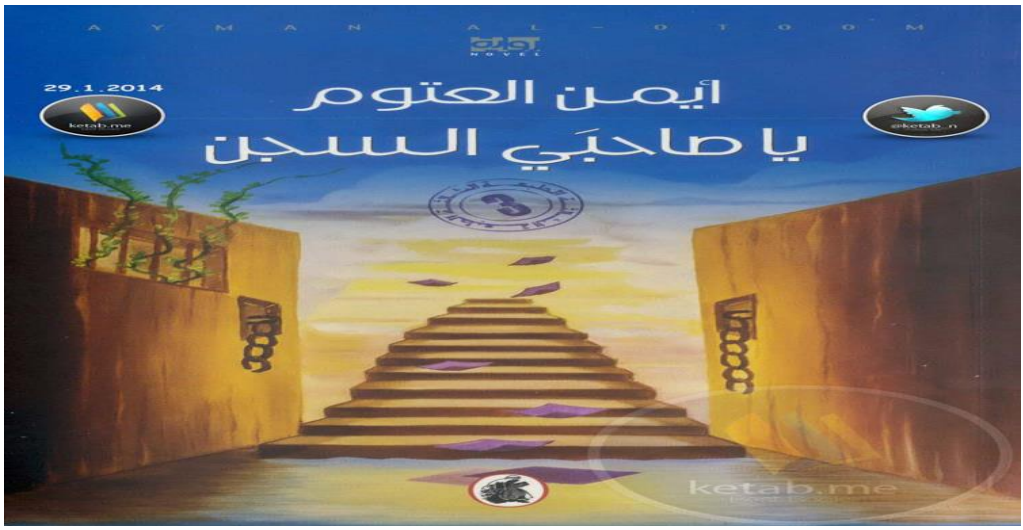


"فتصميم الغلاف لم يعد حلية شكلية بقدر ما هو يدخل في تشكيل تضاريس النص. بل أحيانا يكون هو المؤشر الدال على الأبعاد الإيحائية للنص([٢]) فالغلاف بتصميمه يعكس دومًا رؤية المؤلف ورسالته التي يسعى لإيصالها، عبر النص الموازي، " فالغلاف أيقونة إعلامية، وكوَّة نصيَّة تسلط الضوء على ما يموج بداخل المتن الروائي، فهو أول ما تقع عليه العين وآخر ما يبقى في الذاكرة بعد انتهاء قراءة العمل الأدبي، لذلك يتحرى المبدع الدقة في اختيار الغلاف، جاعلًا منه عتبة الدخول إلى النص؛ لأن الغلاف تربطه علاقة مجازية بمضمون العمل الأدبي، والمتلقي إذا تمكن من فهم مكونات الغلاف وفك شفراته، استطاع الدخول إلى فضاء النص الروائي([٣]). ويمثل غلاف رواية " يا صاحبي السجن لأيمن العتوم " عتبة مهمة للولوج للنص الروائي، وفك شفراته النفسية التي تعكس رؤية المؤلف وفكرته الروائية، فهو مثير سيميائي يدفع المتلقي للتوحد الفكري والنفسي مع المؤلف: آلامه، أحزانه، أحلامه، وفهم مأساته الحقيقية التي تكمن في موهبته، التي أسهمت في ما حل به من أوجاع وهموم وطنية. لذلك تبرز لوحة غلاف الرواية بوصفها أيقونة مهمة تعزف على أوتار تراسل الحواس وتداخلها، فتتداخل الصورة البصرية،

مع الكلمة المكتوبة، بتنسيقاتها المرئية، فالنص الموازي يمهد للنص الروائي، ويشي بمضمونه النفسي المهم، لذلك جاءت صورة الغلافة بخلفية زرقاء، حيث يتميز اللون الأزرق بدلالة العمق والوضوح، التي قصد منها المؤلف إيصال رسالته التي تخبر بأن العمق والوضوح والصراحة، كان أحد أسباب أوجاعه، فالمجتمع السياسي الذي يحيا فيه، يرفض صراحته ووضوحه وعمقه النفسي، ويريده معتمدًا على غريزة البقاء فقط، ساعيًا خلفها، لتحصد السلام والأمن، لكنَّه يرفض تلك الحياة " لم يكن الإنسان – يوما – ما يأكل أو يشرب، مثل ذلك تفعله الحيوانات(٤) يربط أيمن العتوم بين تداخل الألوان وتضافرها وبين النص المكتوب، فتداخل اللون الأزرق مع اللون الأصفر عكس حالة التوتر النفسي وتضارب المشاعر التي تنتاب المؤلف، حول حقيقة ما يفعله، ما ينطق به، هل حياته ذات قيمة حقيقية، أم أنها عبث لا جدوى منه " كثيرًا ما كنت أتساءل عن جدوى ما أقوم به الآن، ... فقد صرخت في وجه كينونتي مؤنبًا: من كان مستعدًا أن يسمع صدى صوتك، وأنت تصرخ في الجب(٥).

تستمر لغة الألوان في التعبير عما يكمن داخل النص الروائي، ليكشف لنا بعض أو كل ما يقصده المؤلف لا بوصفه بديلًا عنه، إنما بوصفه نصًا آخر، يتناص مع النص الأصلي لينتج دلالات مكلمة للنص ومتحاورة معه، لتملأ فضاء النص بتفاعل ثري مع المتلقي. تؤدي الألوان مجتمعة دورًا مهمًا عبر إقامة عملية تواصل مع الغلاف، تثير – من خلالها – المتلقي، وتستفزه نفسيًا وفكريًا وإنسانيًا، وتأجج الصراع داخل النص الروائي، وتؤسس للعبة التناقضات الجدلية والسيميائية، فكل لون في الغلاف يعد أيقونة معبرة عن النص الروائي، وما به من استراتيجيات سردية، فاللون البني الذي يكسو الجدران يكشف عن الجداران المصمتة داخل السجون التي يعاني منها الإنسان، ويعكس حالة التشاؤم المؤقت في اللحظات الأولى التي تهاجم النفس البشرية في حالة تقييد الحرية، وهذا ما عاني منه المؤلف في لحظاته الأولى التي واجه فيه الاتهامات الكاذبة ضده " بهذه

~~المواصفات البسيطة بدت عرقي كنزا لغيتا لزوار الفجر. ( تذكرت كلمة زوار الفجر~~

التي قالها زميلي ونحن في مختبر التّربة بالجامعة) هجموا على كل ورقة مكتوبة، وأخذوها، شريط الفيديو كان مادة إثبات التهمة عليَّ؛ إذ إنه كان شريط الأمسية الشعرية في قلعة عجلون، والذي بسببها تُقام الحفلة الآن(٦) كانت اللحظة الفجائية التي انتابته وأدخلت الخوف له والقلق لأسرته، تماثل اللون البني الذي يعكس ضبابية الرؤية، وامتزاج الخوف بالقلق. وعبَّرت الأوراق البنفسجية المتطايرة عن تهمته التي بسببها عوقب بالتوقيف وتفتيش المنزل، فالقصيدة الشعرية، أو الكلمة الصادقة المعبرة عن الوجع الإنساني داخل الأوطان، كانت هي تهمة المؤلف " لم تترك ورقة مطبوعة عليها قصيدة، أو بضعة أبيات، أو ما هو مخطوط بخط يدي إلا جمعته، وألقت به في كرتونة كبيرة(٧) تطايرت الأوراق في الغلاف، وصودرت داخل النص الروائي، فالنص الموازي يعبر برمزية عن الخطاب الروائي الأصلي، ويكمله ويمهد لأفق انتظار المتلقي، عملية التأويل والفهم. استسلم المؤلف للون البني المهيمن ولضبابيته، فأسلم نفسه لمصيره، وساير قوات الأمن التي هاجمت بيته، لم يحاول المقاومة أو تبرير موقفه، فهو – كما يظن – لم يرتكب شيئًا، وعبَّر النص الروائي عن هذه القناعة التي تتضافر مع أيقونة الغلاف والألوان المتداخلة المعبرة عن تناقضات الموقف وقناعات الذات " في غمرة التفتيشات الدقيقة، أخذني الضابط الذي كان شكله مألوف لديَّ، وانتحى بي، في إحدى نواحي الغرفة، وخاطبني بصوت خفيض، لقد قرأت لك قبل أيام قصيدتك " قالوا حجابك " وإنها من أروع ما قرأت لك، كم أنت جميل أيها الشاعر(٨) دب الأمل في نفس المؤلف، وأيقن بصدق حدسه وببراءته رغم أنه قيد التوقيف الأمني، لكنَّ كلمات الضابط له، فتحت له طاقة أمل " كانت تلك الطاقة هي النافذة المرسومة في الحائط الأيسر من غلاف الرواية، فهي تعبر عن طاقة الأمل التي أمده الضابط به، لقد لاقى اعترافًا صريحًا بشاعريته، وبراءته باعتراف الضابط، فتضافرت الكلمات مع الرسم الموجود بالغلاف، لينبت زهور الأمل في نفسه، وكان هذا الأمل هو الزرع

الذي يلتف حول قضبان النافذة الحديدية ليبث فيها الحياة، والأمل الذي يدفع " أيمن العتوم " للتماسك والاستقواء، حتى يتمكن مستقبلًا من مواجهة واقع السجن المرير، إن التضافر الواضح بين العتبة الأولى للنص الموازي، وبين النص الأصلي المكتوب، ينتج تفاعلًا إيجابيا، عبر سيمائية الصورة والكلمة " ولكنَّه –بالفعل– نجح في أن ينقلني أنا – بالذات– إلى مراتب أخرى امَّحت فيها بعض التوجسات من ذهني، هتفت به حقًا؟! فأجاب : أنت لا تحتاج مني إلى مدح، فشعرك معروف(٩) امتلأ البطل بالغبطة والسعادة، لحصوله على الاعتراف بشعريته، وشعوره كذلك بالعظمة، عندما رأى عدد السيارات التي ترافقه، هو الشاعر البسيط المتواضع، إن هذه السعادة تؤكدها أيقونف الغلاف اللون البنفسجي المبهج للأوراق المتطايرة عاليًا، فالتطاير والارتفاع يعكس حالة النشوة التي شعر بها العتوم، جراء ما حدث له، فكما أن تطاير الورق يعكس حالة النشوة الظاهرة، ويضمر حالة الفقد والضياع فلكما اشتدت الريح فقدت الأوراق قدرتها على التماسك وأصبحت ألعوبة في مهب الريح، كان أيمن العتوم السعيد بما يجرى له ظاهريًا لكنَّ حالة من الوجع وفقدان القدرة على التماسك ستنتابه بعد تلك السعادة المؤقتة " أضواء سيارة الشرطة في المقدمة، والتي تعلو رأسها، تتحرك بشكل دائري، وحين يلامس ضوؤها – في دورتها – وجهي تلمع عيناي، بين رجلي الأمن من خلف الزجاج، فأبدو كزعيم سياسي خطير، ... لن تصدقوا أن هذا الشعور ملأني بالغبطة، وأضاف إليَّ تجربة جديدة(١٠) انقضت السعادة والبهجة سريعًا كما تغيب الورقات المتطايرات في العاصف سريعًا ولا تستقر، وحلت لحظات التيه، وعدم التماسك، كما الأوراق البنفسجية في الغلاف " تركيني وحيدًا في الظلمة، لأول مرة في حياتي أجد نفسي في زنزانة انفرادية، لا أدري كيف يمكن أن أستعيد تلك اللحظة الفارقة في حياتي، وأستحضر الشعور الحقيقي حينها ... كان شعورًا مزيجًا من الدهشة والخوف والقلق والترقب والانبهار وعدم التصديق ... كذلك يتضارب في الأن نفسه(١١) ذهبت لحظات السعادة والبهجة، وحلت محلها مشاعر الخوف والقلق والتضارب،

وهنا تبرز أيقونة الغلاف مرة أخرى للتعبر عن مصيره الطويل، فدرجات السلم التي تتسع عند الهبوط / الدخول للجدران البنية وتضيق كلما حاولنا الصعود / الخروج حيث الضوء والحرية، تعبر عن الرحلة الطويلة لباطن الأرض، حيث تقييد الحرية، والقمع النفسي، فطريق العتوم إلى زنزانته، كان متداخلا مع درجات السلم " الإحدى عشرة درجة " يوازيه ويشي به، وكلاهما طويل يضيق كلما هبطنا لباطن السجن، ويتسع كلما صعدنا حيث الحرية، في تضاد يستفز المتلقي ليؤول هذا التضاد الظاهري، فالسجن في حقيقته ضيق معتم، لذلك جاء الطريق إليه مخيفًا مرعبًا، ودرجات السلم تتسع وتضيق كلما حاولنا الصعود حيث الحياة والحرية، فتعبر عن المزالق النفسية، والمخاطر التي تتطلبها الحرية، فكلما طلب الحرية، زاد تضييق الخناق عليه، وتقطعت أنفاسه من طول الطريق وضيقه، ومن السهل أن ينتقل من ضيق طريق الحرية، إلى ضيق السجن وعتمته، لكنَّ نهاية طريق الحرية، كما عبَّرت أيقونة الغلاف " درجات السلم" نورًا وهواء وانطلاقة، في حين أن الاستسلام للمصير والقهر، يؤدي بك إلى عتمة الطرق الضيقة حيث الزنزانة المخيفة " أفضى بنا باب الغرفة إلى دهليز معتم، لا أدرى إن كان معتمًا بالأساس أم اعتم لحظة وصولي، ... كان الظلام يغلف الدهليز غير بصيص من النور، ... مال الضابط يمينًا وسلك دهليزًا آخر أشد ظلمة، وفتح بابًا قصيرًا، خلت أنني سأستقر هنا، غير أنه تقدمني، خفضت رأسي لكي لا يرتطم بهذا الباب، ... ثم مشى أمتارًا قليلة، وإذ بنا نواجه بابًا أقصر من سابقيه، تساءلت في نفسي: لماذا تقصر الأبواب كلما تقدمنا، وتظلم الممرات كلما مشينا؟ ... بادا الباب الثالث أنه باب زنزانتي، وكان بالفعل كذلك، فتحه الضابط ودعاني للدخول.(١٢) الطريق في النص الموازي حيث أيقونة الغلاف طويلًا يضيق ويتسع وفق مساحة الحرية المطلوبة، والطريق للزنزانة طويل، لكنه يضيق وتقصر الأبواب، تعبيرًا عن تقييد الحرية، في المشهدين " الموازي / الأصلي" تحضر السلالم التي تعبر عن رحلة " العتوم " إلى الحرية أو اللاحرية. ولابد أن نعي أن كل دال بصري أو سمعي له دلالة تنطق بها، وتعبر

عنه، فلا يوجد دال اعتباطي أو عبثي تأويل، لماصة وان السيميائية تبحث عن دلالات جديدة في كل عمليات التواصل السمعية والبصرية والحركية، ولا تترك ذائقة إنسانية أو كونية إلا وتفتش فيها عن الدوال التي تعبر عنها، فحواس الشم واللمس، وكذلك التذوق ذات دلالات لابد أن نقف أمامها مؤولين من والوجهة السيميائية. لذلك يبدو القيد الحديدي وهو محطم ذا دلالة مهمة، إذا ربطنا بينه الكسر وبين تطاير الأوراق البنفسجية، وكذلك بين النور المنبعث من الخارج، فكل هذه العناصر متضافرة، تؤكد أن الحياة ستسمر طالما وجد العلم والفكر الذي يبعث النور ويكسر كل قيود الظلم والزيف والجهل.

" تُبرز عتبات النص جانبًا أساسيًا، من العناصر المؤطرة لبناء الحكاية، ولبعض طرائق تنظيمها وتحققها التخييلي، كما أنها أساس كل قاعدة تواصلية، تمكن النص من الانفتاح، على أبعاد دلالية تغني التركيب العام للحكاية، وأشكال كتابتها. بيد أن عتبات النص لا يمكنها أن تكتسب أهميتها بمعزل عن طبيعة الخصوصية النصية نفسها، وبمعزل عن تصورات المؤلف للكتابة، واختياراتها(١٣) لذلك فقامت الدراسة بالربط بين النص الموازي ممثلًا في عتبة الغلافة وبين النص الأصلي، حيث لا يمكن أن نستطيع تأويل العتبة الأولى للنص الموازي دون الوقوف على مقصود المؤلف ورؤيته داخل النص الأصلي.

## العنوان والغلاف الخلفي:

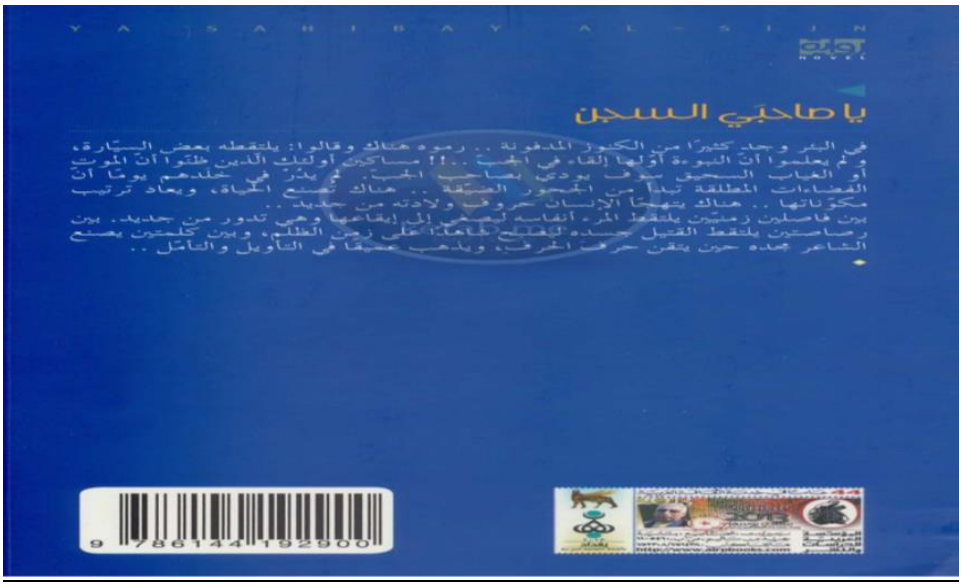


تسيطر على الرواية رؤية واحدة مهمة، انطلق من خلالها الخطاب ليؤصل لها، ويؤكد وجودها، مستعينًا بالنص الموازي / عتبات النص التي يستهل بها روايته، لتنطق بما لم ينطق به داخل النص الأصلي، ففكرة قداسة القضية وعدالتها التي تنسحب على الذات الإنسانية، لتصير ذات السجين مقدسة وصاحبة رؤية، لم يبح بها النص الأصلي، وسكت عنها، لكنه وظَّف العتبات والتناص القرآني لينطقا بها.

جاء عنوان الرواية " يا صاحبي السجن " متناصًا مع القرآن الكريم في سورة يوسف، بل إن العنوان تلبَّس خطاب يوسف ليكون خطاب الرواية كلها، وكأن العتوم صار نموذجًا يوسفيًا، فالظلم الواقع على سيدنا يوسف هو ذاته االظلم الذي وقع على أيمن العتوم، فلقد نطق سيدنا يوسف بالحق ولم يكذب، ورفض الوقوع في الخيانة والمعصية، فكان جزاؤه السجن، رغم صدقه وعدالة قضيته وقدسيته التي استمدها من النبوة، كذلك كانت قضية العتوم – على الأقل من وجهة نظره التي يريد أن يستنطق بها الخطاب الروائي من خلال عتبات النص – فلقد نطق العتوم بالصدق، وعبَّر عن الظلم الواقع عليه وعلى الشعب الأردني ولم يكذب، فكان جزاؤه

السجن، فالقضيتان عادلتان رفض خلالهما البطلان " يوسف في القرآن الكريم ، والعتوم في الواقع الأردني وفي النص الروائي، الكذب والظلم، فكان الظلم حليفهما. إن هذه الرؤية المقدسة التي عبَّر عنها العنوان، تضافرت مع عتبة الغلاف الخلفي، حيث كُكتب عليه، ما يؤكد تلك الرؤية، وهذه الأيديولوجية الفكرية التي هيمنت على فكر الرواية ومؤلفها فجاء في عتبة الغلاف الخلفي " في البئر وجد كثيرًا من الكنوز المدفونة .. رموه هناك وقالوا: يلتقطه بعض السيارة، ولم يعلموا أن النبوءة أولها إلقاء في الجب ..!! مساكين أولئك الذين ظنوا أن الموت أو الغياب السحيق، سوف يودي بصاحب الجب " الغلاف الخلفي " إن النص الموازي / عتبي العنوان والغلاف الخارجي ينطقان برؤية القداسة وعدالة القضية، فالنص الموازي يؤكد أن النبوءة من نصيب العتوم كما كانت من نصيب يوسف، لكنَّ نبوءة العتوم ترتبط بالشعر، بالكلمة المنظومة التي تحارب الظلم والقهر، وتحاول أن تنشر العدالة وتعيد توزيع الحقوق على أصحابها، إنها نفس أدوار النبوة، فكل الأنبياء يسعون لرفع الظلم وتحقيق العدالة والمساواة مع نشر الإيمان بالله والتوحيد، لذلك فكان ميلاد أيمن العتوم الحقيقي، كما كان السجن بداية إعلان نبوة يوسف عليه السلام " لم يدر في خلدهم يومًا، أن الفضاءات المطلقة تبدأ من الجحور الضيقة .. هناك تصنع الحياة، ويُعاد ترتيب مكِّوناتها .. هناك يتهجأ الإنسان حروف ولادته من جديد "الغلاف الخلفي ".

ينطق العنوان " يا صاحبي السجن " برؤية أيمن العتوم ونظرته لدوره في السجن، حيث تحول هناك إلى داعية للخير والسلام والحرية، فكما كان خطاب سيدنا يوسف لصاحبيه في السجن خطاب دعوة للإيمان بالله، كان خطاب العتوم لرفقائه في السجن هو خطاب السلام والأمن، خطاب النضال من أجل رفع الظلم بالكلمة وبالسلم، لا بالقتل والتفجير والتدمير، إنه داعية لبناء مجتمع آمن، بلا ظلم ولا قهر، ولا دماء ولا اعتداء، لذلك كان كل همه في السجن هو القراءة وكتابة الشعر، ومخالطة الفئات السياسية المثقفة التي تناضل مثله بالكلمة، والعمل

~~السياسي الواضح، لقد اكتسب أيمن العتوم من السجن الخبرات الحياتية والثقافية~~ التي تهيأه ليكون لسان حال السجناء، والمظلومين، فظل هكذا في سجنه حتى خرج " يوسف " هذا السجن " وبين كلمتين يصنع الشاعر مجده، حين يتقن حرفَ الحرفِ، ويذهب بعيدًا في التأويل والتأمل" الغلاف الخلفي". لقد قرر أيمن العتوم أن يكون يوسف هذا الزمان، داعية للحق، والعدل والمساواة، عبر الكلمة والنظم، عبر الرواية والإبداع، ولم لا فلقد مارس التضحية واقعًا، وتحمل، وقاوم، واكتسب من محبسه الكثير من الفوائد، وخرجًا صلبًا قويًا محملًا بما يؤهله للنضال بالكلمة والحرف.

## العتبات الداخلية:

تهتم الدراسة بالنص الموازي أو عتبات النص، وهي التي " تسيِّج النص وتسميه وتحميه وتدافع عنه، وتميزه عن غيره، وتعيِّن موقعه في جنسه، وتحث القارئ على اقتنائه، وهي العناوين والمقتبسات والإهداء والأيقونات وأسماء المؤلفين والناشرين([١٤]) لذلك كان من الضروري أن نولى العناوين الداخلية أو العتبات الداخلية أهمية في التأويل والفهم، لأنها تكشف عن مخبوء النص، الذي قد لا يعبر عنه النص الأصلي، أو قد يسكت عن بعضه، ويعبر عن بعضه الآخر. فالعناوين الداخلية تعمل على تكثيف دلالات النص، مثلها في ذلك مثل العنوان الأساسي للنص.

### العلامة (٠)

استهل العتوم روايته بعنوان داخلي، صدَّره بالرقم صفر، وهذا الرقم صفر له دلالة واضحة، فهو قصد منه العدم، أو اللاشيء، وكأن العلامة تخبرنا بأن المؤلف / الشاعر بطل الرواية لم يكن شيئًا يذكر قبل ما توقيفه من قبل الأمن، فهو والعدم سواء، كان شخصية مغمورة غير فاعلة في المجتمع، أو يظل فعلها قيد المحيط الأسري الضيق، فهو في مستهل حياته، لم تظهر عليه علامات النبوغ الفاضح، أو

لم يحن الوقت لهذا النبوغ الفاضح، وكانت أشعاره تظل في محيطه الخاص، كان الشاعر كالفارغ لا يملك ما يثبت به ذاته، أو لنقل إن المناخ الثقافي في بلده لا يمكنه من أن يعبر عن ذاته، إن تضافر العلامة صفر مع مضمون النص الأصلي ينتج تلك الدلالة التي تعبر عن دوره أو الحياة، أو انعدامه في محيطه الذي يذوب فيه كل نبوغ، ولا يتبقى سوى الرماد المتسلق للسماء، أما القيمة والفكرة فإنها تضيع وتصبح صفرًا يحتاج إلى واسطة له. " فأنا لست يونانيًا يحاول أن يمجد الآلهة ... أنا إنسان يطفح في الجب بماء الشعور ... أنا شاعر بسيط يحاول أن يبتلع آلة الزمن، ليرجع بذاكرته إلى الوراء قليلًا فيكتب ما غيبته سجون الأيام والسنين ... لكن ألف صارخة في الطريق تُعول وتصيح، ليس لأنها ثكلى، ولكنها تفعل ذلك لكي لا تمنحني الطمأنينة والسكينة([١٥]) عبَّر النص عن ذاته فتلاقى مع العلامة (٠) التي تدل على العدم والغياب، وتنتظر دومًا الرقم الاخر الذي يحوله إلى قيمة، فهو بلا أرقام لا يساوي أي شيء، بل قد يصبح دليل شؤم كما كان العرب ينظرون له قديمًا، لكنَّ الأمل باق فقد يستحيل العدم أو اللاشيء إلى الشيء، وتتلاقى الأرقام مع الرقم صفر لتكون رقمًا ذا قيمة إنسانية كما يريد المؤلف الذي أكَّد أنه قبل أن يزج به في السجن وقبل قصيدته التي هي سبب سجنه لم يكن قد صار شيئًا معلومًا.

وتتلاقى العلامة صفر في دلالتها مع العنوان أسفل الرقم، الذي هو تناص قرآني مع الآية ٢ من سورة الحديد، فكأن النص الموازي يقرر أنه لم يكن شيئًا معلومًا قبل أن تخلق له المشاكل والصراعات فتؤدي به إلى السجن ثم التحليق في الأفاق بوصفه مناضلًا، يناضل بالكلمة، خاصة وأن الجزء الذي تناص معه مرتبط بنص قبله، يتحدث عن المصيبة التي تصيب الإنسان قال تعالى:

" مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢ سورة الحديد)

إن التناص القرآني يعكس حالة المؤلف الذي خلقته المصيبة، بعد أن كان قبلها لا شيء، مجهولًا للجميع، فقد تأتي المصائب أو التحديات لتنقل الإنسان نقلة معنوية كبرى، تغير مسار حياته، وهذا ما كشف عنه العلامة (٠) والتناص القرآني في عتبة العنوان الداخلي، فالنص الموازي نطق بما سكت عنه النص واكتفى فقط بالتلميح لا التصريح. إن العناوين الداخلية ليست ضرورية كالعنوان الأصلي للنص، ويلجأ إليها المؤلف للتبيان أو للكشف عن مضمرات النص التي قصدها، لذلك فهي ضرورية إيضاحية للتأويل، تكمل النص الأصلي أو تأول مضمراته.

## العتبة الداخلية الثانية

يستمر العتوم في استهلاله بالتناص القرآني، رغبة منه في التأسيس المقدس لنصه، وكأنه ينطق بالحق دومًا، ويسعى له، وفي المقابل يكون الطرف الآخر، هو الظالم او المعتدي عليه دون وجه حق، لذلك كان عنوانه الداخلي الثاني " ويقص الحق " فالعبارة هنا واضحة، وتدل دلالة قاطعة على قدسية ما يقوله، وما يعبر عنه، فهو يملك البينة، التي وهبها الله له، وهم الطرف الآخر المعتدِي عليه، ينكر هذه البينة وهذا الحق الذي يصدح به، ويبالغ في غيه، فيصب عليه عقابه

" قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧ سورة الأنعام) إن العتوم يدفع المتلقي إلى استحضار النص القرآني كليه وتأويله، وربطه بروايته، وبالأحداث التي وقعت له، ليربط بين قدسية موقفه وقدسية الحق القرآني، فهو – كما ينطق النص – صاحب حق مقدس، ينادي به، وكأنه نبي منزل، ينادي بالوحي من عند الله، لكنَّ المنكرين للحق، يصرون على معاداته والكفر بكلماته، ولتأكيد منطوق النص الموازي، كان لابد وأن يكشف عمَّا يريد داخل النص الأصلي " وقفت كأي مواطن أتلو يومياتي ... ( يوميات مواطن ) ولعل الشعور بالجوع يورث النقمة لدى بعض المترفين، أو لعلك ترتكب جريمة حين تفتح عيون المُتخمين على واقع الجوع والفقر

والتهميش، ولعل شاعرًا مثلي لم يكن يحق له في عرف الدولة بالطبع- أن ينحاز إلى الفقراء(١٦) رسم النص للبطل صورة مقدسة، حيث ابتدأها بلفظة " أتلو " وكأنه استحضر صورة القرآن الكريم الذي استهل خطابه بالتناص معه، واستوحى منه قدسيته، ليعبر عن مراده الفكري، رفع الغطاء عن وجع الجوعى والفقراء والمهمشين، والنطق بأوجاعهم، لكّن هذا النطق لم يكن بالشيء اليسير في ظل كراهية الأثرياء والمترفين والمتخمين بالمال، تذكيرهم بوجود هذه الفئات، فكيف الحال وأنت تتحدث عنهم وبلسانهم، لابد أن تواجه بالكراهية والرفض، كما يواجه الأنبياء والرسل بالرفض من الطبقات العليا المستفيدة في كل الأمم " ولعل شاعرًا مثلي لم يكن يحق له في عرف الدولة بالطبع" والدولة هنا تمثلها تلك الطبقات العليا، التي لابد وان تدافع عن نفسها ووجودها، فتبادر بالرفض والتربص. يتضافر النص الموازي أو عبتة الاستهلال الثاني مع النص الأصلي ليؤكد ما قصده الخطاب لنفسه من قدسية وتفرد " وقلمًا ينهض في الأرض شاعر يخرج عن هذه الدائرة، ولأنني رسمتُ لنفسي دائرتي الخاصة البعيدة عن الزعيق والتطبيل والتزمير، كنت عرضة لسهامهم، وكنت هدفًا سهلا لبنادق صيدهم(١٧)

**العتبة الثالثة :**

تتقارب رؤية العتوم في روايتها وقدسية الذات والفكر والموقف، لذلك فكل عتباته الداخلية تتناص مع القرآن الكريم، ليصنع ضفيرة من النص الموازي مكتسبة للقداسة الذاتية والفلسفية لديه، إنه يثق من ذاته ومن اختياراته لذلك فهو يمزج بين تجربته والقرآن الكريم، ويستلهم ما يؤكد ذلك، فعنوان العتبة الثالثة " ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا" إنه يصف من خلال العتبة حالته وموقفه الذي آل إلأيه، بعد توقيف الأمن له، فلقد صار في ظلمات السجن، التي تتردف فوق بعضها، لتنتج ظلامًا من نوع آخر، ظلام القهر الذي يتداخل مع ظلام الزنانة؛ فينكشف الوجع وتتعالى قيمة الحرية لديه، لذلك استلهم الآية القرآنية

الكريمة، لتصف لنا نقلته من الرحابة والحرية إلى القيد والسجن " أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠ سورة النور) تبدلت حياته وصارت كالبحر المظلم المتلاطم الذي لا ينبيء بغير الظلمة، لذلك فهو يستعين بالله الذي لابد وان يلهمه النور. إنه يربط بين التشبيه التمثيلي في الآية الكريمة وبين رحلته من بيته إلى باحة قسم المخابرات فيقول" استقرت السيارة قريبا من منتصف الليل في باحة قسم المخابرات في إربد ... طوال هذه الرحلة القصيرة من بيتنا إلى الدائرة، كانت سيارة الشرطة تتقدمنا، وخلت أن سيارة أخرى للأمن تلحق بنا، وأنا في السيارة الوسطى ... ومع أنني محاصر من الجهتين([١٨]) فالليل في العبارة هو الظلمات التي تتدافع حوله، لتكون ظلمات فوق بعض، والسيارة التي تحيط به من كل جانب هي البحر اللجي الذي يغشاه موج فوقه موج، إنه الحصار الذي يحيط به، لكنه يساير موقفه الفكري، ويمنح ذاته القداسة وصحة المبدأ، لذلك فهو يتركنا مع الظلمات، ويرتحل هو " ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور" والله سيمنحه ذلك حتى يقاوم نتائج الحصار الأمني " تركني وحيدًا في الظلمة، ... كل ذلك يتضارب في الآن نفسه، تحسست المصحف في يدي لأدرك أني هنا([١٩]). إن العتبات الداخلية تكشف دومًا عن مقصود النص الخفي، الذي لا يفصح عنه المؤلف، إنما يتركه للمتلقي وتراكماته الثقافية والفكرية، منتجًا نصًا موازيًا مكملًا لما صرَّح به المؤلف؛ ليقع المتلقي في فخ التأويل الموجه أو المقصود من قبل النص الأصلي.

## العتبة الرابعة:

يقول الجاحظ إن " لابتداء الكلام فتنة وعُجبًا([٢٠]) فلم يعد المتن الروائي هو البغية الأولى للتأويل، " لأن ما حول المتن من عتبات نصية تشكَّل النص، وتسهم بالتأثير في دلالته التأويلية فهي "نظام سيميائي ومعرفي لا يقل أهمية عن النص الأصلي، ويتعين على المتلقي قراءاتها وتأويلها وفك شفراتها، التي قد تنطق بما لا

ينطق به النص الأصلي. تمثل براعة الاستهلال بالعنوان الداخلي أو بالعتبة الداخلية في مضمونها وما تحملها من دلالاته عميقة، تفضي إلى رؤية المؤلف ومقصوده الفكري، الذي لا يعبر عنها صراحة في النص الأصلي، فالعتبة الرابعة " لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧ سورة الأنعام) إن التناص القرآني يؤكد ما يسعى المؤلف لتأصيله في المتلقي من عدالة قضيته، وصدق موقفه الإنساني، فهو يخاطبه موضحًا عبر التفسير القرآني، بأن لكل نبأ حقيقة وواقع، وستنكشف الأمور ولو بعد حين، لذلك فهو يصر على موقفه، ولا يلين قط، لأن اللين او المسايرة تعنى أن قضيته به شبهة عدم العدالة، لذلك فهو يوجه لنفسة بعض التساؤلات التي تتسق والتناص القرآني، ليستمد القوة من ذاته، قبل مواجهة الآخرين" وقد سمع الشعر نصيحة أبيه؛ فاعتزل النشيد إلى غير رجعة ... لمع في ذهني خاطر مشابه: أمعقول أن أبي سيقول لي – يومًا – كلامًا من هذا القبيل؟!! هززت رأسي لأطرد طيف هذا السؤال، وتمتمت سرًا: مستحيل!!([٢١]) لأن لكل نبأ مستقر، فلابد من أن يطرد كل الهواجس الغريبة التي قد تزعزع صلابة موقفه، وتحيده عن الطريق المعلوم له، طريق عدالة القضية، إنه يستمد قوته من ذاته ومتخيله الثقافي قبل أن يعلن المواجهة مع قوى الأمن التي لا مفر من وقوع المواجهة معهم " قفزت من محلي، كم لدغته عقر ... أحسست بعد اللدغة بأن كفًا من حديد صفعت أذني اليسرى ... بدأ الطنين يغطي السمع، ويُسدل ستارًا من الغشاوة أمام عيني ... هتفت في سرّي: يبدو أنني كنت متساهلًا إلى الحد الذي تجرأ فيه أن يطلب مني طلبًا وقحًا، مثل هذا ... صرخت: لا ..!!([٢٢]) لقد تمسك بموقفه وأعلن ضمنيًا عن عدالة قضيته، وصدق موقفه، فالمقصود النفسي للنص الأصلى لا ينفصم مطلقًا عن النص الموازي، خاصة لو استحضرنا الاستلهام القرآني، وربطنا بين " العنوان" الداخلي للفصل الرابع، وبين الآية السابقة، لها تأكد لنا ما قصده النص، فالآية التي تسبق التناص القرآني في العنوان، تؤكد مقصود النص، وتعلن عن هوية الصراع بين الطرفين، " وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُل

~~لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (٦٦) سورة الأنعام، فالقوم يطعن عن صدقه وتكذيب قومه له/~~ الأمن في صدق موقفه ووطنيته، وحرصه الإنساني على الفقراء والبسطاء، ويؤكد أنه سيفشل لا محالة في إيضاح صدقه ووطنيته، كما سيفشل في إقناعهم بالانحياز له، " لست عليهم بوكيل.

## العتبة الخامسة:

تسلمك عتبة إلى عتبة أخرى، لتكمل النص الموازي، ليكون نصًا متكاملًا ينتج الدلالة المرجوة منه، ويتفاعل معه المتلقي، متعاطفًا مع البطل المظلوم، صاحب القضية المهمة، الذي يصر عليها، ويقاوم من أجلها، لذلك كان العنوان " اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ" إنه يكمل رسم صورة النص الموازي بالتناص القرآني، عن وعي تام بما يفعل، لذلك وهو يتناص في العتبة الخامسة، يتناص مع جزء من الآية، ونسى الجزء الأول منها وهو " قل يا قوم " ربما لأنه أراد أن يوضح أن هؤلاء الظالمين خرجوا من معية القوم الواحد، والأسرة الواحدة، بما فعلوا معه ومع غيره من ظلم واضح، وصادروا حريته، وسعوا في قتل الإبداع بداخله، لذلك أعلنها صراحة اعملوا ما شئتم فهذا لن يثني من عزيمتي، فإني عامل في أمر وشأني ما أريد، ويتدخل التناص هنا ليشرك المتلقي معه، ليستحضر الآية كاملة ليربط بين النص الموازي والأصلي والتأويل، مؤكدًا أن الفائز في النهاية هو صاحب القضية العادلة، التي لا تخالف لنواميس الكون، وأن الفلاح لن يصيب الظالمين أبدًا " فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥ سورة الأنعام).

إن عدالة القضية لابد لها من نصير قوي، يساند صاحبها، ويقف بجواره؛ ليكون مثله الأعلى، وهنا تبرز صورة الأب، صاحب المبادئ الذي يساند ابنه معنويًا ووجدانيًا ونفسيًا، ويساعده على الصبر والتجلد، فهو نبيل يكافح من أجل إسعاد أهله ووطنه. " ولدي الحبيب . أبي ... (وتخنقني العبرة) (٢٣) كانت المشاعر

الأبوية كفيلة ببث الأمل في نفسية ابنها والقوة والتماسك، لذلك فالعبرة حضرت لكنها لم تهيمن عليه، لأن صوت الأب استحضر بداخله القوة والتماسك قائلًا : " ما التهمة التي لفقوها لك ؟ تهمتنا معًا. ... حُبنا لأوطاننا يحبسنا يا أبي!! – كن قويًا!! – ثقافتنا أصل مصيبنا يا أبي!! – كن أبيًا!! – موسيقى الشعر تزعجهم يا أبي([٢٤]) تماسك الابن لأن الأب دفعه للتماسك، والاستقواء على النفس، فكان قوله " اعملوا على مكانتكم إني عامل " أي استمروا على طريقكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى ، فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي.

## العتبة السادسة:

" إن العناوين الداخلية مثلها مثل العنوان الأصلي تعمل إما على تكثيف فصولها أو نصوصها عامة، وإما تفسيرها، وإما وضعها في مأزق التأويل([٢٥]) والعنوان السادس أو العتبة السادسة " وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا" تدفعنا إلى مازق التأويل، فالنص ينتج مجموعة من الأسئلة لابد من الإجابة عنها، فمن هذا الذي سيشهد؟ ولصالح من؟ وما الذي علموه؟، إننا أمام صورة مشابهة لإخوة يوسف مع العزيز " يوسف" وهو يطلب منهم أن يشهدوا بأن أخاهم قد سرق، فالعزيز يوازي هيئة المحكمة التي تعلم أن المتهم بريء لم يخن الوطن، بل وتعترف له بشعريته، وموهبته، " قصائدك قوية. أنا اقرأ بعضها منذ زمن. شكرًا. – أنت تملك موهبة فذة . ... أمس استمعت إلى شريط الفيديو الذي تظهر فيه بقلعة عجلون وأنت تلقي قصائدك!!([٢٦]) يؤمنون بشعريته وعدم تحريضه ضد الوطن ، كما كان العزيز على علم ببراءة أخيه، وكلاهما يشهد شهادة مبطنة بالبراءة، لكن الهدف الأسمى في موقف العزيز دفعه لهذا الادعاء حيث لقاء الأب من جديد، والسلطة العليا في موقف المحكمة تدفعهم للإعلان عن التهمة مسايرة للواقع المفروض عليها. وما شهدنا إلا بما علمنا، أو ما شهدنا إلا بما أملي علينا، فكما أملي على إخوة يوسف القول بأن أخاهم قد سرق، " ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا

~~شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١ سورة يوسف ) أملي على هيئة~~ المحكمة بالتهم الموجهة للعتوم " لدى التهم المسندة إليك، وهي إطالة اللسان على الملك، والذم والتحقير، وتمزيق الوحدة الوطنية، والتحريض على الفتنة( [٢٧])

**العتبة السابعة: وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤ سورة هود)**

تتمايز العتبات الداخلية، لكنها ترتبط في سياج فكري واحد، متخذة من التناص القرآني تعبيرًا عن المسكوت عنه داخل النص الأصلي، فالآية الكريمة العتبة السابعة للنص الموازي، تخبر بأن العتوم، كان يقصد فترة حبسه، عندما وظف التناص ليكون عتبة نصية لنصه الموازي، مؤكدًا أن كل ما فيه ما هو إلا أجل معدود معلوم وسنتهي، وتزول الغمة، ويستنشق هواء الحرية من جديد، لكنَّ هذه العتبة تؤسس للعتبات القادمة لتكمل مسيرة النص الموازي، في التفاعل مع المتلقي.

**العتبة الثامنة: " ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ "**

جاءت العتبة الثامنة في صورة نصيحة ذاتية لنفسه، قد يتفاعل معها المتلقي بالفهم الإيجابي، ويعي مقصودها، حيث على كل إنسان أن يسعى لحفظ نفسه، وألا يكون لقمة سائغة لمنافسيه أو أعدائه، في الحياة العامة أو في السجن في عنبر " ٢٢١ " الذي أودع فيه العتوم بسجن السوقة بعد الحكم عليه. إنها نصيحة تريد ان تقول لكل المتلقين، افهم مسكنك جيدًا واعلم مواطن قوته وضعفه، الركن المريح، من غير المريح، ووظف طاقاتك لحماية ذاتك أو الميل لركن الراحة دائمًا، ولا تستنفذ قدراتك في جدل لا نتيجة منه سوى الإرهاق. " دخلت إذا إلى زمني الجديد، وانا عازم على ان أقرأ هذا الجزء من وطني بكل تفاصيله، وأستمتع بصفحاته سطرًا سطرًا([٢٨])

**العتبة التاسعة: " وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا "**

تبرز تلك العتبة التغيرات التي تحدث للعتوم في محبسه، تغييرات بعضها بيده وكثير منها دون إرادته، لكنها تؤكد عدالة قضيته، فهو في كل يوم يمر عليه، يستفيد منه، ويكتسب المعرفة تلو الأخرى، فبعد الأيام العجاف التي قضاها بين المجرمين في المهجع ٢٢١ انتقل إلى مهجعه الجديد الذي تلقى فيه الإكرام والترحاب من الجميع " تلقفني الجميع هنا بالسؤال عني، وعن صحتي، وعن الأيام التي قضيتها في حضرة السباع ذات المخالب. وكنت جائعًا إلى الحديث مع أي إنسان، فأسهبت في الإجابات([٢٩]) كانت أيام سعيدة، إنسانية الطابع فنسي نفسه بين السجناء الجدد، ومارس حياته بتلقائية حتى أصابه منها المرض والغياب عن الوعي لكنَّه نجا، والنجاة والممارسة الحياتية الواعية، دائما ما تثبت له عبر النص الموازي عدالة قضيته " لقد غبت عن الوعي ثلاثة أيام !! مستحيل– كنت تهذي!! – كيف حدث هذا؟! كنت تصحو للحظات، مثل ميت من القبر نسقيك بعض الماء، قم تعود إلى النوم كجثة هامدة!! ... خفنا عليك قليلًا ... ولكننَّا مطمئنون إلى قلب الشاعر الساكن فيك ... لابد أنه قوي إلى الحد الذي بقى فيه نابضًا، ولم يتوقف!! كنتم تعتمدون إذا على قلب الشاعر؟! ألا ترون أنه سيد النكبات..؟!([٣٠]) إن البنية الداخلية للنص تمثل عتبة مهمة تعكس الكثير من الرؤى والأفكار التي تبدو مغلفة بشفرات خاصة تحتاج للكشف عنها، فكل العتبات التي وظفها العتوم – وهي تناص قرآني – تحمل الإجابة عن تساؤلات كثيرة، تتفاعل داخل نفس المتلقي. "

**العتبة العاشرة: " " وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)**

إن عتبات النص هي بنى داخلية تؤسس لنص الموازي، فالبنى " الداخلية وشكلها الذي يضفي عليها نوعًا من الاستقلالية والتميز، ثمة منظومة من إحالات إلى كتب ونصوص وجمل أخرى، مما يجعله ككتاب، مجرد عقدة داخل شبكة أو مجرد جزء من كل([٣١]) نبحث من خلال كل عتبة فيه عن المخبوء فيه لنكشف عنه،

لنخلق نصًا موازيًا أو نسقًا مضمرًا قصد المؤلف إخفاءه لأجل التفاعل الإيجابي مع المتلقي. فمازال العتوم يؤكد عدالة موقفه وقضيته، ونقاء سريرته، وإنسانيته في المقارنة مع ضيوف السجن الذي استقر فيه، فهو يجاهد بالكلمة من أجل حياة كريمة، فلا هو بالقاتل أو المخطط لذلك، ولم يسع يومًا لإزهاق أرواح الأبرياء الذي يفدون إلى بلاده للسياحة والاستجمام، إنه مجاهد بالكلمة البريئة، لذلك فهو يعلم مقامه جيدًا، ويربطه بقدسية قضيته، " في مهجع القتل، رأيت الوجوه الكالحة والقاسية، كان شبح القتل يخيَم علي المهجع، فبدا شاحبًا، تفرّ منه الحياة وتهرب خارجه، كان جافًا لا رواء فيه، وحين تقترب من أحدهم لتجالسه وتسمع منه، تباغتك رائحة القتل تفوح من بين الأشداق، وتنبعث من تحت الجفون الكحلية خانقة مميتة، بدا سكان هذا المهجع خارج إطار الحياة(٣٢) كان علينا أن نستحضر الاستلهام القرآني كاملًا لنستطيع استنطاق العتبة النصية، " وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥ سورة الصافات) فالتناص القرآني الذي استلهمه النص دفعنا لإكمال الصورة المقصودة، والتفاعل مع الرؤية الفكرية للعتبة، للتأكيد على هدف العتوم، ورغبته في إضفاء العدالة والنقاء لقضيته وذاته، لذلك فالآية التالية لتناصه تؤكد ذلك " وإنا لنحن الصافون أي المخلصين لقضيته ولوطنه. وتأكد لذلك عبر المقارنة بينه وبين السجناء السياسيين الآخرين.

## العتبة الحادية عشرة: "يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ "

كان التناص القرآني هذه المرة يصف الحالة النفسية والمعنوية للسجين أيمن العتوم، وكيف كانت حاله الآن، " يسألون عن أبنائكم " كنا في السجون كطيور الحذر، نتلفت في كل اتجاه، ويصغي إلى كل الأصوات، كنا جوعى إلى من يشعر بنا وبوجودنا، وإلى من يروى ظمأنا في إحساسنا بدواتنا التي كانت مهملة من قبل السجانين إلى حتى الإلغاء(٣٣) كان هذا هو حال السجناء، جميعًا، ومنهم من يضعف ومنهم من ينهار ومنهم من يتميز بالقوة والصلاة. جاءت الإجابة لتؤكد قوته وصلابته التي لن تلين، فلقد صنع لنفسه عالمًا خاصًا به، أبتعد به عن كل

المضايقات والاستفزازات الموجودة بالسجون وكان عالمه الخاص محصنًا بفعل قيمة الأب في حياته، وكيف غرس فيه هذا الأب القوة والصلابة، وعوَّده عليها، ولم يضعف ولم يبث الضعف في نفس ابنه السجين المناضل – من وجهة نظره –" علمني أبي – قبل أن أدخل هذا المعترك – أشياء كثيرة، كنت غافلًا عن قيمتها، اكتشفتُ في السجن أنها تساوي كنزًا ثمينًا، هناك حين تتربع الجدران حولي، وتُغلق الأبواب دونيِ وتهبط غلالة الليل ... أدركت كم كنتُ محظوظًا([٣٤]) كانت هذه حال السجين العتوم لمن يسأل عنه، بقصد الشماتة والتشفي، أو الاطمئنان والشد من الأزر، كان قويًا بعكس كل التوقعات، صلبًا، خالف تصورات سجانه الذي لو كان مكانه لانهار سريعًا وهذا ما يؤكده تناصه القرآني في نفس الآية الكريمة، ويجيب عن تساؤلاتنا "

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠ سورة الأحزاب) ولو كانوا فيكم ما قاتلوا كما قاتلتم وما تحملوا ما تحملتُ من سجن واستفزاز ومضايقات، وعبودية مصطعنة، كان هذا هو رد أيمن العتوم على كل التساؤلات الحرة حوله وحول مصيره في السجن، إنه يجيبهم بروح استعلاء صاحب القضية العادلة.

## العتبة الثانية عشرة: " وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ "

تبرز تلك العتبة علاقة العتوم بالليل الذي أحاطه، ليل السجن وظلامه وقسوته، والليل بمفهومه الكوني العام، هذا الليل الذي تحدث بينه وبين الإنسان في أحايين كثيرة علاقة الألفة والتواصل، لكنَّ ليس السجن لابد وان يكون مختلفًا، لكنَّ السجين العتوم، تواصل معه، وتعانق تعانقًا إيجابيًا ساعده في التكيف على حياته الجديدة، بل وأصبح مفتاح الأمل له، لأنه – من وجهة نظره – صاحب قداسة الموقف والقضية. "

~~لماذا تغيب الشمس ؟! لتسمح لليل بالقدوم؟! ولماذا تغيب البذرة في جوف الثرى~~ المظلم؟! لتسمح لأوراقها من بعدُ بالظهور في مدى الفضاء المنير!! خبأت نفسي في ثنى الليل أملاً بأن تخضر أوراقي ذات صباح([٣٥]) يتدخل التناص القرآني في تلك العتبة ليصنع نصه الموازي، الذي يؤكد قدسية القضية التي سجن من أجلها العتوم لذلك " وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣ سورة الضحى) مهما طال ليك واشتد سواده فلن يتخلى عنك ربك، ويتركك تواجه مصيرك المؤلم دون مناصرتك، إن العتوم يسحب القداسة على قضيته ثم على ذاته، ليتحدًا ويكونا جسدًا قدسيًا واحدًا يشبه قداسة الأنبياء والمصلحين وقضاياهم الإنسانية التي لابد أن تنتصر في النهاية.

## العتبة الثالثة عشر: " لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ "

ترتبط هذه العتبة بالعتبة السابقة، لتؤكد أنه رغم صلابته وقوته، فإنه بشر يعاني أحيانًا ويفقد الأمل كذلك، وقد ينهار مؤقتًا، لأنه مثل الأنبياء بشر، وله طاقة وقدرة قد تتجاوزها الهموم، لكن عليه أن يستقوي على همومه كما فعل الأنبياء أليس وهم أصحاب قضية واحدة؟! تسعى لمصلحة البشرية؟ عليه أن يكمل مسيرتهم " يا مُخنَّث العزم أين أنت والطرق!! طريق تعب فيه دم، ناح لجله نوح، وأُضجع للذبح إسماعيل، وسار مع الوحش عيس، وزاد على الدرب صبر أيوب، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، وتحمل أنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم. ترى أنك في لهو ولعب ...([٣٦])

## العتبة الرابعة عشر: " اقْرَأْ كِتَابَكَ "

لاشك أن العتوم يحاسب نفسه وهو في السجن، ليبحث عن سبب وجيه لوجوده فيه، ولقد احتمى بعدالة القضية وقداسة الذات، التي ربطت بينه وبين الأنبياء رطبًا واضحًا في قوتهم، وقدسيتهم، وعدالة قضاياهم، لكنه كذلك كان يفتش عن نموذج

إنساني عام، يرى فيه ذاته وتضحياته، ولا يفقد الأمل من خلاله، ولقد وجد ضالته في جورج أورويل

" ماذا أقص لكم مما قرأت: ( الولاء المطلق يعني انعدام الوعي) / ( إن جريمة الفكر لا تُفضي إلى المون إنها الموت نفسه) قال ذلك جورج أورويل) في رواية (١٩٨٤) ( هو النص الأفر سطوعًا والأكثر قوة داخلية، والذي يشمل بأقصى حد من الاختصار التجربة والتاريخ الإنسانيين اللذين دارا تحت نظر الله([٣٧]) لقد وجد العتوم ضآلته البشرية الخالصة في جورج أورويل، الذي يلتقي معه في نضاله وإبداعه، ومهنته الفكرية، فهو صحفي وروائي كما كان العتوم شاعرًا وأديبًا واعدًا، رأى نفسه في هذه الشخصية التي أمدته بالأمل في سطوع نجمه، وخلوده، كما خلَّدت أعمال جورج أورويل له، ولهذا الرؤية الذاتية لدى العتوم أقدم على أن يعيد كتابة تجربته الإنسانية في السجن، لتكون رواية تشبه " ١٩٨٤ ) أو مزرعة الحيوان لأورويل[٣٨].

## العتبة الخامسة عشر: " وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ "

تعبّر هذه العتبة عن حقيقتين يؤمن بها العتوم إيمانًا قاطعًا، الأولى أنه صاحب قضية عادلة، تتفق ورسالات الأنبياء، لذلك فهو في كل عتبة يتناص مع القرآن الكريم، ويربط في بعض العتبات بينه وبين الأنبياء، كما في هذه العتبة التتي تتناص مع آية كريمة، تخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام. الثانية: هي خصوصيته، وخصوصية ذاته التي تعود إلى اختلافه عن بقية السجناء معه، فهو سجين الإبداع، أو سجين الكلمة الخيالية، فهو يمتلك حسًا خاصًا وخيالًا خصيبًا، لذلك فهو يشتاق للحب العذري الملائكي، حتى يستطيع الخلود، والاستمرار، لذلك فلقد اصطنع لنفسه حبًا خياليًا يضمن له بقاء خياليه حرًا حيًا خصيبًا. " دعاني العشق في ليالي الشتاء الباردة، فلبيته طائعًا، إنه يكتب قدري الذي ظل سكينًا مغروسة في خاصرتي إلى اليوم، هيأت للعشق الفضاء الرحب من قلبي، وزرعت

~~فوقه رايات الاستسلام .... الحب وحده كان دافعي الأكبر من أجل البقاء؟ صراعي~~ مع الفناء واجهته بسلاح الحب، لو لم أكن قادرًا على الحب في " سواقة " لأصبحن هيكلًا ميتًا([٣٩])

## العتبة السادسة عشر: " قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ "

تدل هذه العتبة على مراحل اليأس التي تنتاب السجين العتوم، فيظن نفسه مجرمًا، لن يخرج من محبسه أبدًا، وكأنه أصبح مجرمًا في حق الله، فوجب عقابه بالخلود في محبسه، الذي صار نار جهنم، التي تحرق أعصابه وجسده، لذلك فقد هيئ نفسه للبقاء في محبسه ونسي العالم الخارجي تمًامًا. اضطربت المفاهيم عنده بعض الشيء وتلبسه القلق واليأس " السجن ليس حقيقة!! إنه حلم!! أكثر الأحلام سذاجة، بل هو أكثرها حموضة، لا ... لم نكن مسجونين ... السجن خدعة باردة!! أين من يستطيع أن قنعني أننى أقبع في سجن كل هذه الأياك والأسابيع، وكل هذه الشهور(٤٠)

## العتبة السابعة عشر: " فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ "

تعكس هذه العتبة حالة الانتظار التي تهيمن على السجين العتوم، انتظار الخروج من السجن، من العذاب، أو من بطن الحوت ليكون نبيًا، مصلحًا، يسعى بفكره، وخبراته التي اكتسبها داخل محبسه، وقراءاته المتعددة هناك، في إصلاح البشر، والتأكيد على مفاهيم الإنسانية وقدسية الحياة، وحق المواطن في التعبير عن نفسه، إن التناص المتعدد مع القرآن الكريم، كان يسبح في فكر النص الموازي ليؤكد عدالة القضية وبراءة الإنسان وقدسيتهما. إن " هذه العتبات هي التي ستقود المتلقي / القارئ إلى مركز الانفعالات، وحركية الحياة في مسالك النص، وسينتج عن التفاعل معها امتلاك الرغبة التي ستدفع إلى البحث عن كل ما يتعلق بها بين ثنايا النص نفسه(٤١) وهي التي هيأت القراءة الخاصة التي اهتمت بها الدراسة وربطت بينها وبين النص الأصلي لتؤكد التضافر الواضح بين العتبات / النص

الموازي والنص الأصلي، فكلاهما يكمل الآخر ويعبر عما لم يعبر عنه الآخر، لينتج نصًا أو بمعنى آخر نصوصًا متعددة الدلالات، تكمل بعضها بعض.

## الخاتمة

بعد هذه الدراسة في عتبات النص والمتخيل الثقافي، وقف البحث أمام أهمية تلك العتبات التي تؤسس لنص جديد، يوازي النص الأصلي، وقد يتلاقى معه، أو يتخذ طريقًا جديدًا ليعبر عن المخبوء في نفس النص الأصلي، وكشفت الدراسة عن اهتمام الروائي أيمن العتوم بعتبات النص، ومنحها التأصيل الفكري والديني عبر بطها ربطًا وثيقًا – من خلال التناص – بالقرآن الكريم، الذي سعى من خلال هذا النص لإضفاء صفة القداسة على رؤيته وقضيته، بوصف الرواية سيرة ذاتية لمرحلة مرَّ به المؤلف.

وأكدت الدراسة أهمية الربط بين العتبات والمتخيل الثقافي للنص وللمؤلف، من أجل إنتاج الدلات الجديدة، وتأويل العلامات المشفرة داخل النص.

واستطاع الدراسة أن تبرز أهمية تأويل العتبات داخل الرواية، من أجل التفاعل الإيجابي بين المتلقي والنص الموازي والأصلي.

## المراجع:

[١]) نجود عطا الله الحوامدة: عتبات النص الروائي، عنونات رواية خلاصة النزف لأحمد العرود أنموذجًا، مجلة التربية والعلم، العراق، مج ١٩، ع ١، ٢٠١٢ م : ص ٣٣٤

[٢]) ينظر، مراد عبد الرحمن مبروك، جيوبوليتيكا النص الأدبي، تضاريس الفضاء الروائي نموذجَا، دار الوفاء للطباعة والنشر، الأسكندرية،٢٠٠٢ م : ص ١٦٧

[٣]) د. محمد مصطفى كلاب: عتبات النص في رواية (ستائر العتمة) لوليد الهودلي دراسة سيميولوجية سردية، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية – شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين، مج ٢٥ ع ١ ٢٠١٧: ص ٦

[٤]) أيمن العتوم:يا صاحبي السجن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٣، ص ٥

[٥]) المرجع السابق: ص ٥

[٦]) السابق: ص ١٦

[٧]) السابق: ص ١٧

[٨]) السابق: ص ١٧

[٩]) السابق: ص ١٧

[١٠]) السابق: ص ٢٠

[١١]) السابق: ص ٢٢

[١٢]) السابق: ص ٢١

[١٣]) عبد الفتاح الحجمري: عتبات النص البنية والدلالة، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٦م: ص ١٦

[١٤]) جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة ط٢ ١٩٩٧م: ص ١٥

[١٥]) أيمن العتوم يا صاحبي السجن: ص٦

[١٦]) المرجع السابق : ص ٨ : ٩

[١٧]) السابق : ص ٩

[١٨]) السابق : ص ٢٠

[١٩]) السابق: ص ٢٢

[٢٠]) الجاحظ : الحيوان : ج١ : ص ٨٨

[٢١]) أيمن العتوم: يا صاحبي السجن: ص ٣١

[٢٢]) المرجع السابق: ص ٤٨

[٢٣]) السابق: ص ٨٧

[٢٤]) السابق : ص ٨٨

[٢٥]) عبد الحق بلعابد: عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ط١ ٢٠٠٨ م : ص ١٢٥

[٢٦]) أيمن العتوم: يا صاحبي السجن: ص ١٠٦

[٢٧]) السابق : ص ١٠٧

[٢٨]) السابق ص: ١٤٣

[٢٩]) السابق : ص ١٦٥

[٣٠]) السابق: ص ١٨٥

[٣١]) ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي – المغرب – الطبعة الثانية ١٩٨٧م: ص ٢٣

[٣٢]) على العتوم: يا صاحبي السجن: ص ٢١٣

[٣٣]) المرجع السابق: ص ٢٢٧

[٣٤]) السابق: ص ٢٣٢

[٣٥]) السابق: ص ٤١

[٣٦]) السابق: ٢٧٥

[٣٧]) السابق: ص ٢٨٤

[٣٨]) إريك آرثر بلير (بالإنجليزية: Eric Arthur Blair) الاسم الحقيقي لجورج أورويل (بالإنجليزية: George Orwell)، وهو الاسم المستعار له والذي اشتهر به (٢٥ يونيو ١٩٠٣م – ٢١ يناير ١٩٥٠م)، هو صحفي وروائي بريطاني. كان يشتهر بالوضوح والذكاء وخفة الدم والتحذير من غياب العدالة الاجتماعية ومعارضة الحكم الشمولي وإيمانه بالاشتراكية الديمقراطية. كتب أورويل في النقد الأدبي والشعر الخيالي والصحافة الجدلية. أكثر شيء عرف به هو عمله الديستوبي رواية ١٩٨٤ التي كتبها في عام ١٩٤٩م وروايته المجازية مزرعة الحيوان عام ١٩٤٥م استمرت تأثير أعمال أورويل في الثقافة السياسية السائدة ومصطلح أورويلية الذي يصف ممارسات الحكم الاستبدادي والشمولي والتي دخلت في الثقافة الشعبية مثل ألفاظ عديدة أخرى من ابتكاره مثل الأخ الأكبر، التفكير المزدوج، الحرب الباردة وجريمة الفكر وشرطة الفكر.

[٣٩]) السابق: ص ٢٨٦ : ٢٩٦

[٤٠]) السابق: ٣١٠

[٤١]) باسمة درمش: عتبات النص، علامات في النقد الأدبي، جدة السعودية، مج ١٦ ، ع ٦١ ، ٢٠٠٧ م : ص ٤٠